الاتصالات السرية بين الشريف فيصل بن الحسين والقوميين العرب في بلاد الشام ١٩١٥ ـ ١٩١٦م(*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

أ.د / محمد بن علي السكاكر
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
جامعة القصيم

ملخص البحث باللغة العربية

عندما دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا والنمسا في نوفمبر ١٩١٤م، انتقلت تداعياته إلى البلاد العربية، فبدأت السياسة العالمية تتلاطم أمواجها سعيًا لكسب ود العرب، وبخاصة من بريطانيا صاحبة النفوذ الأكبر في الشرق الأوسط التي باشرت اتصالاتها مع الشريف الحسين بن علي في مكة المكرمة، لتعزله عن الدولة العثمانية، حتى تفشل مشروعها "الدعوة للجهاد المقدس". وقد مثلت اتصالات القوميين العرب السرية في بلاد الشام مرحلة من مراحل الثورة العربية التي تزعمها الحسين ابن علي في الحجاز، ففي يناير ١٩١٥م وصلت للشريف الحسين بن علي رسالة شفهية، على لسان: فوزي البكري من جمعية "العربية الفتاة"، مضمونها: أن الوطنيين وكبار الضباط في بلاد الشام يميلون إلى الثورة للحصول على استقلال العرب، فهل يوافق على قيادة الثورة، ويستقبل وفدًا من الجمعية في مكة المكرمة؟ أو يرسل إلى دمشق من يثق فيهم للاتفاق على مراحل التنفيذ؟ وفي هذه الأثناء كان الحسين ينتظر نتائج مباحثاته مع الحكومة البريطانية؛ ولذلك لم يرد على رسالة القوميين العرب بالقبول أو الرفض. وفي خضم هذه الأحداث وقعت في يد الحسين بن علي وثائق تدل على مؤامرة ضده، تدبرها جهات عثمانية رسمية، فاستغل هذه الحادثة، وأوفد ابنه الأمير فيصل إلى الدولة العثمانية

(*) مجلة "وقائع تاريخية" عدد يناير الجزء الأول ٢٠٢٠.

في مهمة ظاهرها: عرض شكواه على الباب العالي، وباطنها: الاتصال بالقوميين العرب في دمشق للاطلاع على حقيقة موقفهم ومدى استعدادهم للثورة على الدولة العثمانية. وستتم مناقشة هذا الموضوع من خلال الحديث عن ثلاثة لقاءات سرية تمت بين فيصل بن الحسين والقوميين العرب بين عامي ١٩١٥- ١٩١٦م.

The Secret Communications between Alshareef Faisal bin Alhusayn and the Arab Nationalists in the Sham Area; 1915- 1916

Prof. Mohammed Ali Alsakakir
Qassim University

When the Ottoman Empire entered the First World War beside German and Austria in November 1914, its repercussions have moved to the Arab countries. Then, the world policy started to win the Arabs, particularly British, which had greater influence in the Middle East, and started its communication with Alshareef Alhusayn bin Ali in Makkah in order to separate him from Ottoman Empire and to fail its project "Call for Holy Jihad". The secret Arabs Nationalists communication in Sham area were represented important step in Arabs revolution under the leadership of Alhusayn bin Ali in Hejaz. In January 1915, Alshareef Alhusayn bin Ali received a verbal message that was spoken by Fawzi Elbakri from the association of "The Arab Girl", its content: The Nationalists and Key Officers in Sham countries tend to the revolution to obtain the Arab independence, whether he will agree to lead the revolution and welcome the society delegation in Makkah? Or to send the trusted agent to Damascus to agree on the execution stages? At the meantime, Alhusayn was waiting for his negotiations result with British Government; therefore, he did not accept or refuse the Arab Nationalists message. Meanwhile, Alhusayn discovered conspiracy against him arranged by official Ottoman authorities, he made use of this event and sent his son Prince Faisal to Ottoman Empire for a mission in its appearance to submit his complaint to the high authority. However, it was actually to contact The Arab Nationalists in Damascus to review their real position and their readiness to lead the revolution against Ottoman Empire. This issue will be discussed through speech in three closed meetings between Faisal bin Alhusayn and The Arab Nationalists during 1915-1916.

المقدمة

وافق تولي الشريف الحسين بن علي شرافة مكة، ثورة حزب الاتحاد والترقي على السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، الذي أخذ يفرض القومية التركية في ولايات الدولة جميعها، الأمر الذي نتج عنه اضطرابات ومتغيرات كبيرة في الدولة العثمانية، جعلت بعض القوميات غير التركية داخل كيان الدولة العثمانية تعارض هذه السياسة سلمًا أو حربًا. وكان العرب من ضمن هذه القوميات التي ثار الشريف الحسين باسمهم، مطالبًا بمنحه الاستقلال الداخلي ضمن كيان الدولة العثمانية في بداية الأمر، ثم متزعمًا للثورة العربية الكبرى ضد الدولة العثمانية، ومن هنا بدأت اتصالات الشريف الحسين بن علي بالقوميين العرب، عن طريق تكليف ابنه الشريف فيصل بن الحسين ليتولى هذه المهمة، فأجرى الأمير فيصل بن الحسين اتصالات واسعة مع السلطان العثماني وكبار رجال الدولة العثمانية في الآستانة والشام والحجاز نيابةً عن والده، حيث كان عضوًا في البرلمان العثماني، وكان لوجوده في هذا البرلمان، واطلاعه على آراء النواب وأطروحات المعارضة، أن اكتسب تجربة مهمة في حياته السياسية المبكرة، أتاحت له أن يدرس السياسة العثمانية دراسةً عميقة، كما هيأت له ظروف الاطلاع عن كثب على حقيقة نوايا الاتحاديين، وسياستهم المتعصبة. كما عُرف في البرلمان العثماني بنزعته العربية وغيرته القومية، على الرغم من ملامح اتصالاته بمسؤولي الدولة العثمانية التي اتسمت بطابع من التودد والمجاملة والحيطة والحذر، على الرغم من تلقيه النصح والتحذير والمهادنة من الدولة العثمانية، وإن كانت لهجة التمويه والخداع قد مورست من كلا الجانبين.

ولقد تولى كذلك مهمة الاتصالات السرية مع القوميين العرب في بلاد الشام ـ على الرغم من صعوبة المهمة ـ نظرًا لأن الأمر كان يتطلب المواءمة بين مقابلته لوالي الشام العثماني وبين اتصالاته السرية مع القوميين العرب

هناك، حتى إن بعض المتتبعين لتاريخه يؤكدون أن تلك الفترة كانت من أشد السنوات حرجًا وخطورة في حياته، ولكي يقوم بهذه المهمة كان عليه أن يجوب الأرض بين مكة المكرمة ودمشق واستانبول ليتصل برجال الدولة العثمانية، وزعماء القوميين العرب، وشيوخ القبائل، والحكومة البريطانية، وقد أتاحت له هذه الزيارات الاطلاع على حال الأهالي، والاجتماع بمفكريهم وعظمائهم، مرتبطًا بهم بصداقات قوية، ومستخدمًا مختلف الأنشطة السياسية مثل: تشكيل الجمعيات، والمقابلات، والمخاطبات، وتنظيم الاحتجاجات والمظاهرات الشعبية. وهذا ما سنحاول إبرازه في هذه الدراسة للوقوف على اتصالات فيصل ابن الحسين السرية مع القوميين العرب في بلاد الشام قبيل قيام الثورة العربية في ٩ شعبان ١٣٣٤هـ الموافق ١٠ يونيو ١٩١٦م.

وقد قسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة اتصالات سرية تمت بين عامي ١٣٣٣ ـ ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥ ـ ١٩١٦م، وخاتمة ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع.

وفي الختام أشكر من قدم لي مساعدة في هذا البحث خاصًا بالذكر طالبتي في مرحلة الدكتوراه منيرة بنت قفل الشمري التي كانت عونًا لي في إنجاز هذا البحث بهذه الصورة التي أرجو أن تكون ملمة بالموضوع ومحققة لأهدافه المرجوة.

تمهيد:-

في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي طرأ على العلاقات العثمانية، العربية تغيرات جذرية، بسبب تأجيج جماعة الاتحاد والترقي ـ التي تسيدت الموقف بعد عزل السلطان عبد الحميد عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م ـ للتعصب العرقي، الذي رأته أنسب السبل لتقوية سلطات الدولة، متخذة من فرض القومية التركية (جنسها ولغتها) منهجًا لإدارة الدولة، والتعامل من خلالها مع كيانات الدولة الأخرى[١]، ومن بينها: العرب الذين

ظهر عندهم ردة فعل كبيرة، فازدحمت ساحاتهم الفكرية بالعديد من التيارات الوطنية لتحديد علاقتهم بالدولة العثمانية مع كشف تلك التيارات القناع عن وجهها ووضوح نواياها[٢].

فعندما قامت ثورة تركيا الفتاة (الاتحاد والترقي) ضد السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م كانت تنادي بالمساواة بين رعايا الدولة العثمانية جميعهم بدون تمييز لا في الدين ولا في العرق[٣]، ولكنها عندما تولت إدارة الدولة وبخاصة منذ عام ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م لم تف بوعودها، بل إنها انحرفت ١٨٠ درجة عندما فرضت القومية التركية على رعايا الدولة العثمانية جميعهم؛ فبدأت تتوتر العلاقات العثمانية، العربية داخل كيان الدولة العثمانية وحدثت انشقاقات كبيرة داخل كيان الدولة العثمانية، الأمر الذي جعل بعض المؤرخين يعد عامي ١٣٢٦ ـ ١٣٢٧هـ/١٩٠٨ ـ ١٩٠٩م من أهم السنوات الحاسمة في تقرير مصير الدولة العثمانية[٤].

كما نتج عن برنامجها للتتريك نتائج عكسية على الدولة العثمانية، حيث كانت عاملًا قويًا في توحيد قوى زعماء العرب، وحافزًا مشجعًا لتمسكهم بالقومية العربية في مطالبتهم بالاستقلال التام، بعد أن كانوا يطالبون بالحكم الذاتي داخل كيان الدولة العثمانية[٥]. وهكذا أحدث اتخاذ حزب تركيا الفتاة من القومية التركية (الطورانية) المتطرفة أساسًا ومنهجًا في بناء تركيا الجديدة، ردة فعل عكسية عند زعماء العرب الذين أخذوا يسعون لرسم مستقبل أوطانهم بالأسلوب نفسه؛ فنتج عن ذلك ظهور قوميتين متصارعتين هما: القومية التركية والقومية العربية[٦]. " فلا نكون بعيدين عن الحقيقة إذا قلنا إن السياسة العرقية القومية التي كانت تتبعها تركيا الفتاة هي التي ألهبت شعور القومية في نفوس العرب، فإن اللعب بالأحاسيس القومية وبالشعور الوطني في إمبراطورية تتألف من قوميات مختلفة ومن وطنيات مختلفة أمر محفوف بالأخطار"[٧]. وهكذا فإن إذكاء الروح القومية سيولد عداءات ومنافسات بين مختلف القوميات، الأمر الذي ربما يؤدي إلى خراب البلاد وتجزئتها.

ومن الملاحظ أن القوميين العرب في بداية حركتهم ـ التي ظهرت كردة فعل لسياسة التتريك التي نهجها حزب تركيا الفتاة ابتداء من عام ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م ـ، كانوا يهدفون إلى نيل الاستقلال العربي داخل إطار الدولة العثمانية. يقول توفيق الناطور وهو أحد زعماء جمعية "الفتاة" في باريس: "إن فكرة القومية العربية أو العروبة لم تكن بعد قد تبلورت وقويت، جل ما كنا نحن العرب نطلبه هو: أن نتمتع في الإمبراطورية العثمانية بنفس الحقوق والواجبات التي كان يتمتع بها الأتراك وأن تقوم الإمبراطورية على ركنين عظيمين: الشعب التركي والشعب العربي".(٨)

وتجدر الإشارة إلى أنه حتى عام ١٣٣١هـ / ١٩١٣م كان القوميون العرب يطالبون بحقوقهم في الدولة العثمانية، والإصلاح الإداري على أساس اللا مركزية في حكم الولايات العربية، أي أنهم لم يبحثوا قضية الانفصال عن الدولة العثمانية أو يطالبوا بشيء منه(٩).

وبعد دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨م إلى جانب ألمانيا والنمسا، تردد العرب بين مؤيد لها بدافع من الارتباط الديني معها، ومعارض لها بدافع من التيار القومي مفضلًا البحث عن أفضل السبل لتحقيق الأماني العربية بالاستقلال(١٠)، وقد التقت آمال الشريف الحسين بن علي مع أصحاب التوجه الثاني، فسعى للاتصال بهم والتواصل معهم.(١١)

في الوقت الذي كان فيه الشريف الحسين بن علي يجري مباحثاته الأولية مع الحكومة البريطانية للقيام بالثورة العربية ضد الدولة العثمانية، وبينما كان يوهم الأستانة بالرسائل التي ظاهرها تعلن الولاء مستخدمًا العاطفة الدينية، وباطنها فيه التمويه متعذرًا بخوفه من الأسطول البريطاني الذي ربما يحاصر موانئ الحجاز وقد يقصفها(١٢)، ويوفد مبعوثيه إلى زعماء شبه الجزيرة العربية لسبر موقفهم، وصلته رسالة شفهية من جمعية "العربية الفتاة" في يناير ١٩١٥م فحواها: أن الزعماء الوطنيين في الشام والعراق وكبار الضباط العرب يميلون إلى الثورة للحصول على استقلال العرب، وأنهم ينشدون موافقة الشريف

الحسين على قيادة الثورة، وأن يستقبل وفدًا من الجمعية في مكة أو يرسل إلى دمشق مندوبين عنه يثق فيهم للاتفاق على مراحل التنفيذ. ولكن الشريف الحسين بن علي لم يجبهم بشيء، لأنه كان ينتظر نتائج مباحثاته مع الحكومة البريطانية[١٣].

ولما وقع في يد الشريف الحسين وثائق تتضمن الدليل على مؤامرة تدبرها جهات رسمية بواسطة الوالي وهيب بك استغل هذا الموقف[١٤]، فأوفد ابنه الأمير فيصل إلى الآستانة ليعرض شكواه على الصدر الأعظم، وكان هذا هو السبب الظاهر لسفره، أما السبب الحقيقي فهو الاتصال بالزعماء العرب في دمشق[١٥] للاطلاع على حقيقة موقفهم ومدى استعدادهم، والتعرف على خططهم ومشاريعهم[١٦]. ويمكن تقسيم اللقاءات التي تمت بين الشريف فيصل بن الحسين وبين القوميين العرب في بلاد الشام إلى ثلاثة اتصالات. الأولى: في ١١ / جمادى الأولى ١٣٣٣هـ / ٢٦ مارس ١٩١٥م، والثانية: في١٠ رجب ١٣٣٣هـ/٢٣ مايو١٩١٥م، والثالثة: في ربيع الأول ١٣٣٤هـ/ يناير ١٩١٦م.

الاتصال السري الأول لفيصل بن الحسين مع القوميين العرب في بلاد الشام ١٣٣٣/٥/١١هـ / ٣/٢٦/ ١٩١٥م.

بعد اشتراك الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى أصبحت بلاد الشام ذات أهمية كبرى، فالحصار البحري الذي ضربه الحلفاء على سواحلها، لم يبق سبيلًا للمواصلات بين الأستانة وسائر بلاد العرب، إلا بواسطة الطرق البرية. كما أن ولايات البصرة وبغداد والموصل كانت تعتمد على طريق حلب، وسائر أرجاء الجزيرة العربية تعتمد على الطرق المارة بدمشق، ومن هنا رأى مجلس الوزراء العثماني أن يعهد بالمحافظة على هذه المنطقة المهمة ذات الشرايين الحيوية إلى قائد قوي الشكيمة مع منحه سلطات مطلقة تمكنه من تنظيم المسائل الإدارية والاقتصادية وفق متطلبات الحركات العسكرية. وقد وقع

الاختيار على أحمد جمال باشا (السفاح)[١٧] الذي رأى مجلس الوزراء توفر الصفات المطلوبة في شخصه[١٨]؛ وكانت هذه الشخصية من أبرز رجالات الدولة العثمانية التي اتصل بها فيصل بن الحسين في بلاد الشام، وكان عليه أن يتعامل معها بحذرٍ شديد، ومن هنا أوهم جمال باشا بأنه سيمر بدمشق ليرتاح فيها قليلًا، ثم يواصل رحلته إلى الأستانة.

وصل فيصل إلى دمشق في ٢٦ مارس ١٩١٥م، ومكث فيها أربعة أسابيع في منزل آل البكري وفي المدة التي قضاها هناك اطلع على أسرار حركة القوميين العرب، وكان الزوار يتدفقون لزيارته في منزل أسرة البكري خلال الأيام الأولى، ثم بدأ يعقد المباحثات السياسية مع الأعضاء البارزين في جمعية العربية الفتاة، الذين ترددوا في بداية الأمر في أن يصرحوا بما يدور في أنفسهم؛ لأن فيصل غريب عليهم وكان معروفًا بميله للتعاون مع العثمانيين، إلى أن كشف فيصل بعض الشيء عما في داخل نفسه وصرح بأن تفضيله للعثمانيين ناجم عن مخاوفه من أوربا، وقد غير هذا التصريح مجرى الحديث تغييرًا جوهريًّا، وبدأوا على الفور يشرحون له الأسباب التي دفعتهم في طريقهم، وبينوا له أن اللجنة العليا لجمعية العربية الفتاة وافقت في اجتماعها الذي عقد قبل مجيئه ببضعة شهور على القرار الآتي:

" نتيجة لاشتراك تركيا في الحرب أصبح مصير الولايات العربية في الدولة العثمانية معرضًا لمخاطر شديدة، ويجب بذل جميع الجهود لضمان حريتها واستقلالها، كما تقرر أنه إذا تحقق أن للدول الأوربية مطامع في هذه البلاد فإن الجمعية ملزمة بأن تعمل إلى جانب تركية لكي تقاوم التدخل الأجنبي مهما تكن صورته"[١٩].

انضم الأمير فيصل إلى جمعيتي "الفتاة" و"العهد"، بعد ما لمسه من روح قومية جياشة، ومن عزيمة على إضرام نار الثورة في بلاد العرب لنيل

حريتها وانتزاع استقلالها، كما اتصل بقادة العرب وزعماء القبائل وذوي المكانة على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم وضمهم إلى صفوفهم، وقد كان قادة الحركة العربية يعملون على أن تكون سوريا منطلق الثورة، لأنها تزخر بالقوى المتحمسة لأهداف الحركة والمؤمنة برسالتها(٢٠).

كما حرص في اتصاله هذا على معرفة قوة الحركة العربية في سوريا، فاجتمع بياسين باشا الهاشمي رئيس أركان حرب الفيلق الثاني عشر وصلة الوصل بين جمعية العهد وجمعية الفتاة، وسأل عن المساعدة التي تحتاجها سوريا كي تشترك بالحركة التحريرية عندما تدق طبولها، فأجابه ياسين باشا: " أن سوريا لا تحتاج إلا عزم الحسين على ترؤس الحركة التحريرية العربية"(٢١)، فكان لهذا الجواب أعمق الأثر في نفس الشريف فيصل، لأن الرجل الذي قابله كان يملك صفة المتكلم باسم الجيش المرابط في سورية، والذي يتألف من أكثرية عربية، وكانت جمعية الفتاة قد أعدت قائمة بأسماء الأشخاص الذين يجب أن يجتمع معهم ويستمع إلى أقوالهم، وفعلًا اجتمع بهم وتحدثوا معه باسم الفرق العسكرية العربية، وجمعية الفتاة، وجبل الدروز، والقبائل العربية في سوريا، والشباب الوطني، وكانوا يجمعون على أن الوقت قد حان لإعلان الثورة، وأنهم لا ينتظرون سوى أن يقود والده هذه الحركة، ويتولى زعامتها ورئاستها(٢٢). لا سيما بعد أن علموا أن الاتحاديين قرروا تشتيت شمل العرب، كما فعلوا من قبل بالأرمن والأكراد والألبان من اضطهاد وتشريد(٢٣).

ثم أجرى الأمير فيصل مباحثاته مع أقطاب جمعيتي العهد والفتاة حول الخطة التي يجب نهجها لإعلان الثورة، والوصول بها إلى نهايتها، وأبلغهم أن بريطانيا تعرض مساعدتها على العرب، وسألهم إن كانوا يوافقون على قبول هذه المساعدة، وما هي الشروط التي يرون من الواجب أن تكون أساسًا لعقد اتفاق معها، وكان صريحًا في عرض الموقف بكل تفاصيله، فقد أوضح لزعماء العرب أن والده الشريف الحسين لا يزال ينظر بحذر شديد إلى عرض بريطانيا،

وأن شقيقه عبد الله أكثر تحمسًا ويرى أن الفرصة سانحة لانتزاع أماني العرب، بينما هو متخوف من مطامع الدول الأوربية في البلاد العربية، وبعد أن وضع هذا الأمر بين أيدي زعماء العرب تابع رحلته إلى الأستانة تاركًا لهم الوقت الكافي لدراسته واتخاذ قرار فيه[٢٤].

وعلى إثر زيارته عقد أعضاء جمعيتي "العهد" و"الفتاة" اجتماعًا أقروا فيه قيام الشريف الحسين بن علي بمفاوضة بريطانيا باسم العرب، ووضعوا مخططًا للمطالب التي يريدون الشريف الحسين أن يتفاوض على أساسها مع الإنجليز.

وتجدر الإشارة إلى أن فيصل بن الحسين عندما وصل إلى الشام، كان لا بد له من الاتصال بجمال باشا (السفاح) الوالي العثماني هناك[٢٥]، وأن يتعامل معه بحذرٍ شديد، ففي الوقت الذي كان يجري اتصالاته معه محاولًا إقناعه بولاء والده الشريف الحسين بن علي للدولة العثمانية كان يجري اتصالاته السرية مع القوميين العرب المناهضين لها، لأن جمال باشا بعد هزيمته في معركة قناة السويس من قبل بريطانيا بدأ يكشف عن عهد من الإرهاب، بتتبعه خطى الزعماء العرب الذين اتهمهم بالخيانة والتآمر على الدولة[٢٦]، ـ ربما أراد من ذلك تغطية هزيمته ـ فأخذ ينتقم منهم، وكان همه أن يشنق عددًا كافيًا من الذين تجرأوا قبل الحرب ونادوا بالعروبة[٢٧]، ومن هنا كان اتصال فيصل بن الحسين بجمال باشا وتعامله معه بحذر شديد حتى لا يكتشف نواياه وحقيقة اتصاله بالزعماء العرب.

ومن الاتصالات التي تمت بين فيصل بن الحسين وجمال باشا الاتصال الذي حدث في ٢٦ من مارس ١٩١٥م، وهو اليوم الذي وصل فيه فيصل إلى دمشق وهو في طريقه إلى الأستانة لمقابلة الصدر الأعظم، فاستقبله جمال باشا بمظاهر الترحيب ودعاه إلى الإقامة في مقر القيادة العامة، ولكنه اعتذر عن ذلك؛ لأنه كان قد وعد آل البكري أن ينزل عندهم الأمر الذي سيمكنه من الاتصال بالقوميين العرب بحرية تامة [٢٨].

الاتصال السري الثاني لفيصل بن الحسين مع القوميين العرب في بلاد الشام في١٠ رجب ١٣٣٣هـ/٢٣ مايو١٩١٥م

عندما أنهى الأمير فيصل زيارته للأستانة التي استطاع فيها إقناع حزب الاتحاد والترقي بضرورة التعاون مع والده الحسين بن علي، وكذلك حصوله على هدايا ثمينة وخمسة آلاف جنيه لينفق منها على المتطوعين في الحجاز الذين سيشتركون في الحملة الثانية على قناة السويس[٢٩]، عاد إلى دمشق في ١٠ رجب ١٣٣٣هـ/ ٢٣ مايو ١٩١٥م، فباشر اتصاله بالزعماء العرب، والحقيقة أن اتصاله هذا لم يكن إلا رصدًا لنتائج اتصاله الأول، حيث قابل أعضاء جمعيتي العهد والفتاة الذين سلموه ميثاق دمشق وخارطة تعيّن الحدود الجغرافية للدولة العربية التي يجب أن يتم الاستقلال على أساسها وضمن حدودها. وكذلك ميثاق دمشق المعروف باسم "بروتوكول دمشق شعبان ١٣٣٣/٢٠يونيو ١٩١٥م " الذي ينص على:

- أن تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية الواقعة ضمن الحدود التي تبدأ شمالًا: بخط مرسين- أضنة، ممتدًّا على أورفه -وماردين-ومديات- وجزيرة ابن عمر- فحدود فارس، وشرقًا: حدود إيران حتى الخليج، وجنوبًا: المحيط الهندي (ما عدا عدن)، وغربًا: البحر الأحمر والمتوسط حتى مرسين.
- إلغاء الامتيازات الأجنبية.
- عقد تحالف دفاعي بين بريطانيا والدولة العربية المستقلة.
- منح بريطانيا الأفضلية في الشؤون الاقتصادية[٣٠].

ويعد ميثاق دمشق ذا قيمة كبيرة جدًّا، ليس لما تضمنه من شروط فحسب، بل لأن الشريف الحسين بن علي قد استخدم نصوصه بعد ذلك في شهر يوليو من العام نفسه حينما استأنف مباحثاته مع بريطانيا، كما أن قيمتها الكبرى تتمثل بكونها وثيقة تاريخية توضح موقف العرب تجاه الدول الغربية الكبرى، لأن الهدف كان: الاستقلال استقلالًا مضمونًا محصنًا عن أي تدخل

أجنبي. وأعلن زعماء العرب للأمير فيصل أنهم يعدون والده الشريف الحسين ممثل الشعب العربي، وتعهدوا بأن تبادر الفرق العربية المرابطة في بلاد الشام إلى إعلان الثورة في أنحاء البلاد جميعها، متى ما اتفقت بريطانيا مع الشريف الحسين على الشروط المذكورة في الميثاق، وسجل الأمير فيصل ميثاق دمشق في ورقة صغيرة وطلب من أحد أعوانه أن يضعها في حذائه ويخيط عليها بطانة الحذاء، ثم سافر إلى القدس ليودع جمال باشا ويستأذنه في السفر، ثم تابع رحلته إلى مكة فوصلها في ٢٠ يونيو ١٩١٥م[٣١].

– ولعل من أهم الأسباب التي جعلت الجمعيات الوطنية العربية تتفق على زعامة الشريف حسين للثورة العربية الآتي:

١- أن تلك الجمعيات الوطنية اعتمدت على النخبة والمثقفين وأهملت الجماهير في الشارع العربي.

٢- أن التقاليد السائدة في البلاد العربية تسيطر عليها الزعامات القبلية والدينية .

٣- ما يتمتع به الشريف الحسين بن علي من مميزات في حسبه ونسبه.

٤- موقع الحجاز الاستراتيجي البعيد عن مركز احتشاد الجيوش العثمانية.

٥- مركزه كشريف لمكة، ومكانتها في قلوب المسلمين، وماله من قيمة في حماية الأماكن المقدسة.

٦- وجود أبنائه ـ علي وعبد الله وفيصل وزيد ـ واتصالاتهم بالمراكز المدنية[٣٢].

وكان لاتصال الشريف فيصل بأعضاء الجمعيتين دور في جعله يتخلى عن تردده السابق في شأن إعلان الثورة، حيث أخذ يحث والده منذ وصوله إلى مكة على إعلان الثورة وقبول مساعدة بريطانيا إذا وافقت على ميثاق دمشق، وفعلًا لم تمض أسابيع قليلة على عودته إلى أبيه في مكة ومعه ميثاق دمشق، حتى بدأت المراسلات في ٢٩ شعبان ١٣٣٣هـ / ١٤ يوليو ١٩١٥م حتى٥ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ / ١٠ مارس ١٩١٦م، بين الشريف الحسين بن علي،

والمندوب السامي البريطاني السير "آرثر هنري مكماهون".

وتجدر الإشارة إلى أن فيصل بن الحسين عندما عاد إلى دمشق بعد زيارته للأستانة ومقابلته للصدر الأعظم وبعض رجال الدولة هناك، اتصل في أواخر مايو ١٩١٥م بجمال باشا الذي استقبله واحتفى به بناء على تعليمات حكومته، ثم مضى معه إلى القدس، وحل ضيفًا في مقر قيادة الجيش، ثم زار ميناء سيناء، وخطب في المأدبة التي قدمت لتكريمه، واشترك فيها الضباط والقادة ومما قاله: يجب على الأمة الإسلامية أن تشترك في الجهاد، وأنا ذاهب إلى الحجاز لأعود على رأس جيش كبير من المتطوعين، كما أخبر جمال باشا عن ولائه وعائلته للدولة العثمانية، ووعده بالعودة إلى دمشق على رأس ١٥٠٠ متطوع(٣٣).

وما أن وصل فيصل إلى مكة المكرمة في ٢٠ يونيو ١٩١٥م حتى قدم لوالده تقريرًا عن رحلته بما في ذلك قناعته التي تبرر القيام بالثورة(٣٤). وقد تدارس الشريف الحسين بن علي مع أبنائه جوانب موضوع الثورة، في اجتماع عقده في الطائف، وقد رأى فيصل رغم قناعته بالثورة عدم الإقدام على الحركة ما لم تتم المفاوضات مع بريطانيا، بينما رأى أخوه عبد الله الإسراع في تنفيذ المشروع واتهم أخاه فيصلًا بالتلكؤ والجبن، ورغم هذا الخلاف فقد اتخذ الشريف الحسين موقفًا وسطًا فرأى إرسال الأمير فيصل إلى سوريا مرة أخرى إبعادًا للشك، خاصة وأن فيصل كان قد وعد جمال باشا بالعودة إلى دمشق كما تقدم، بينما عمد هو إلى فتح المفاوضات مع بريطانيا لضمان خطواته القادمة في تنفيذ مشروع الثورة، ومن هنا جاءت رسالته الأولى إلى السير مكماهون(٣٥) في يوليو ١٩١٥م، التي كانت فاتحة المراسلات المعروفة بمراسلات الحسين مكماهون(٣٦)، كما أرسل ابنه فيصلًا إلى سوريا ليقوم بزيارتها للمرة الثالثة.

الاتصال السري الثالث لفيصل بن الحسين مع القوميين العرب في بلاد الشام في ربيع الأول ١٣٣٤هـ/ يناير ١٩١٦م.

حدث الاتصال الثالث في الفترة التي كان فيها الشريف الحسين يجري مراسلاته مع السير هنري مكماهون، وفي الفترة نفسها التي كان فيها جمال باشا ينفذ سياسته القمعية بالقوميين العرب، وخلال هذه الأحداث بدأ الاتحاديون بعد انتصارهم في الدردنيل واحتمال انسحاب الجيش البريطاني عن مدينة الكوت، يفكرون في مهاجمة القناة مجددًا بعد فشل الحملة الأولى كما تقدم، الأمر الذي حتم على الحسين بن علي لكي يتكتم على اتصالات ابنه فيصل مع القوميين العرب في الشام، ولكي يقوم بدراسة الوضع في سوريا ومدى إمكانية إعلان الثورة فيها والحيلولة دون تقدم الاتحاديين بمطالب جديدة؛ أن يجاري جمال باشا ويبدى له استعداده لإرسال المتطوعين إسهامًا منه في الحملة الثانية، ثم بعث ابنه فيصلًا ليجري اتصاله السري الثالث بزعماء القوميين العرب على رأس قوة تقدر بخمسين رجلًا، وبوصوله إلى دمشق في يناير ١٩١٦م[٣٧].

وفي هذا الاتصال طلب الأمير فيصل من جمال باشا العفو عن المتهمين من زعماء العرب، ومنح سوريا ما تطلبه من النظام اللا مركزي وجعل إمارة مكة وراثية للشريف الحسين وأولاده، ثم عزز والده الشريف الحسين هذه الطلبات بالبرقيات المتعددة التي أثارت جمال باشا وأنور باشا اللذين كانا يحثانه على تعبئة المتطوعين وإعلان الجهاد، ومما ورد في برقية الشريف الحسين بن علي: " إذا كنت حقًّا ترغب في التزامي لجانب الهدوء والسكينة فينبغي الاعتراف باستقلالي في سائر الحجاز من تبوك إلى مكة وجعلي أميرًا وراثيًّا فيها كما ينبغي أيضًا العدول عن محاكمة العرب المتهمين وإعلان العفو العام في سوريا والعراق"[٣٨]، ورد أنور باشا في رسالة إلى الشريف الحسين أن هذه الطلبات خارجة عن اختصاصه، وأن الأمور ستبقى كما هي عليه، طالبًا منه إرسال المجاهدين الذين سبق أن وعد بإرسالهم إلى دمشق ليكونوا تحت

قيادة ابنه الأمير فيصل[٣٩]، وكان واضحًا من برقية أنور باشا أنه قرر احتجاز الأمير فيصل والاحتفاظ به لدى الجيش الرابع كرهينة حتى تنتهي الحرب، وذلك لإرغام والده الشريف الحسين على تنفيذ مطالب القيادة العثمانية، وقد أدرك الشريف الحسين ذلك فأجاب على برقية أنور باشا أنه أرسل ابنه الأمير فيصل إلى دمشق اعتمادًا على ثقته بوعود الدولة له، وأن إرسال المتطوعين إلى دمشق يتوقف على وصوله إلى المدينة ورؤية هؤلاء له.[٤٠]

ومع تطور الأحداث في سوريا أدرك الأمير فيصل اضطراب الوضع فيها، وتشتت القوى العربية هناك، وتعاظم ضغط الإرهاب على المناضلين الذين يعدون العدة للثورة الكبرى، كما أدرك أنه ربما يكون هو نفسه رهينة في يد جمال باشا، فأخذ يداريه ويظهر له الود والولاء، ولما أطلعه جمال باشا على برقية والده وانتقد أمامه تدخل أخيه علي في شؤون الحكومة في المدينة، كما اتهمهم بالميل إلى الثورة ضد الدولة العثمانية، أظهر الأمير فيصل أسفه الشديد، وأكد أن والده لا يجيد اللغة التركية، وجعل اللائمة على المترجم، لأنه لم يفهم النص العربي، ثم وعده أنه سيسوي الخلاف بين محافظ المدينة وأخيه الذي سيدعوه للقدوم إلى دمشق، كما أنكر ما نسبه إليهم من الميل إلى الثورة[٤١].

ولا ريب أن فيصلًا قد أدرك غرض جمال باشا من استدراج الشريف علي بن الحسين للقدوم إلى دمشق ليكون رهينة أخرى في يده للضغط على الشريف والدهما، وإرغامه على تلبية مطالب القيادة العثمانية بإعلان الجهاد وإرسال المتطوعين العرب إلى ميادين القتال؛ ولذلك لم يطلب من أخيه المجيء إلى دمشق بل أخذ يعد العدة لمغادرتها، فكاتب والده وأخاه وعرض عليهما الأمر، وتم الاتفاق بينهم على أن يوعز إلى المتطوعين الذين جمعهم من الحجاز أن يقيموا في المدينة انتظارًا لتكامل عددهم كي يزحفوا إلى قناة السويس، بأن يطلبوا قدوم الأمير فيصل من دمشق كي يسير معهم إلى ميدان القتال، فأبرق زعماء المتطوعين إلى القيادة العثمانية أنهم في شوق إلى الزحف

وأنهم يرجون أن يكون الأمير فيصل على رأسهم ثم زار الأمير فيصل جمال باشا وأبلغه أن أخاه عليًّا تلقى أمرًا من أبيه بأن يسافر إلى القناة، وأنه يود أن يذهب إلى المدينة ثم يعود مع أخيه والمتطوعين إلى القدس، فأذن له جمال باشا ، وقال له: "سر على رأس وفد واستقبلهم باسمي وعد بهم واسع للإصلاح والتوفيق" [٤٢].

وهكذا نجا الأمير فيصل من شرك جمال باشا، وغادر دمشق في منتصف شهر مايو ١٩١٦م. لكن تطور الأحداث في سورية جاء مخيبًا لآمال الشريف حسين والأمير فيصل بسبب السياسة القمعية التي اتبعها جمال باشا ضد الزعماء العرب، وإعدامه العديد منهم[٤٣]، فضلًا عن تشتيته للقطاعات العسكرية العربية المرابطة في سورية التي كانت محط الاعتماد عليهم لتنفيذ إعلان الثورة[٤٤]، وإحلاله القوات العثمانية بدلًا منها بالإضافة إلى ترحيله العديد من وجوه ورجالات الشام إلى الخارج[٤٥]. وهكذا لم تنجح سفارة فيصل الثالثة، ولم يستطع الاتصال بالزعماء العرب هناك بسبب ما حصل لهم من اضطهاد أو تهجير، الأمر الذي جعل فيصلًا نفسه يسعى جاهدًا للخلاص بنفسه حتى لا يصيبه ما أصاب من كان ينشد العون منهم. ومن هنا أصبح الحجاز مكانًا لإعلان الثورة بدلًا من سورية التي لم يبق فيها سوى بعض القادة الثانويين[٤٦]، وبعد خمسة وعشرين يومًا من عودة الأمير فيصل أطلق الشريف حسين الرصاصة الأولى للثورة العربية في مكة المكرمة في ١٠ يونيو ١٩١٦م.

وتجدر الإشارة إلى أن الشريف فيصل عندما كان في دار البكري بلغه نبأ إعدام ستة من زعماء القوميين العرب في مايو ١٩١٦م، فنزع كوفيته من على رأسه وقذف بها على الأرض، وداسها بعنف وصاح: "طاب الموت يا عرب.. طاب الموت"[٤٧]. وكان أقطاب الحركة القومية قد عقدوا اجتماعا في دار البكري قرروا فيه أن سوريا لم تعد قادرة على إعلان الثورة، بعد أن اشتد قمع مدحت باشا لزعمائها، وأن على الحجاز أن تتولى المبادرة بهذه المهمة القومية، وأبلغوا الشريف فيصل قرارهم هذا ليحمله إلى والده الشريف الحسين بن علي[٤٨].

ولما عاد فيصل من دمشق إلى المدينة قابل والي المدينة فخر الدين باشا، كما وجد عددًا من القوى العربية المتطوعة على أهبة الاستعداد للجهاد، فقام بحيلة استطاع من خلالها الإفلات من فخر الدين باشا، وتوجه إلى مكة المكرمة، ولما وصل إلى بئر الماشي، كتب إلى جمال باشا في دمشق في اليوم الثامن من شعبان ١٣٣٤هـ / ٩ يونيو ١٩١٦م رسالة جاء فيها:" إن المطالب العربية المعتدلة قد رفضت من جانب الدولة العثمانية؛ وبما أن الجند الذي تهيأ للجهاد سوف لا يرى عليه أن يضحي لغير مسألة العرب والإسلام، فإذا لم تنفذ الشروط المعروضة من شريف مكة حالًا فلا لزوم لبيان قطع أي علاقة بين الأمة العربية والأمة التركية، وإنه بعد وصول هذا الكتاب بأربع وعشرين ساعة ستكون حالة الحرب قائمة بين الأمتين(٤٩)، وبعد مضي ساعات كان الخط الحديدي بين الشام والمدينة يُشلَّع ويشتعل"(٥٠).

الخاتمة

في ختام هذا البحث نجمل أهم النتائج التي توصل لها الباحث فيما يأتي:

- أحدث انقلاب حزب الاتحاد والترقي على السلطان عبد الحميد الثاني تطورات كبيرة في الدولة العثمانية، فعلى الرغم من أنها قبل هذا الانقلاب كان يطلق عليها "الرجل المريض"، إلا أن هذه الحادثة قد قضت على آخر عامل من عوامل الصمود والبقاء، حيث أخلت بالمكون الرئيس في الدولة، وهو وحدة الانتماء الوطني المتمثل بالقومية الإسلامية؛ فقد لعبت القومية الطورانية التي تبناها حزب الاتحاد والترقي دورًا كبيرًا في تفكيك كيان الدولة الداخلي، الأمر الذي جعلها تتهاوى سريعًا في ميادين القتال في جبهتي الحرب العالمية الأولي: الشرقية والغربية، ثم استسلامه المخزي وقبولها لشروط صلح فرساي المخزي عام ١٩١٩م.
- شكل القوميون العرب في بلاد الشام خللًا في انتمائهم للدولة العثمانية، فبعد

أن كانت الجيوش العربية في البلاد العربية تقف مع الجيوش العثمانية صفًّا واحدًا في الدفاع عن الخلافة العثمانية، أصبحت بعد توتر علاقة القوميين العرب مع حزب الاتحاد والترقي، عامل ضعف تمثل بعدم الثقة بهم، وبالتالي تشتيتهم، وتفريقهم على ميادين القتال المختلفة، مما يعطي مؤشرًا بأنهم لن يؤدوا واجبهم المنوط بهم، وبالتالي سيكونون عبئًا ثقيلًا على القوات العثمانية.

- كما توترت علاقة الاتحاديين مع القوميين العرب، فقد لحق بهم أيضًا الشريف الحسين بن علي نتيجة لشكه بالنوايا السيئة لحزب الاتحاد والترقي ضده، وبخاصة بعدما وقع في يده وثيقة أرسلها الاتحاد لوالي جدة وهيب بك يحرض فيها هذا الوالي على الشريف الحسين بن علي وأولاده؛ مما نتج عنها تحول الشريف الحسين بن علي إلى بريطانيا التي وعدته بالمساعدة، بل وتنصيبه ملكًا على العرب.
- لما عزم الحسين بن علي على الثورة، قرر الاتصال بزعماء العرب الخاضعين تحت الحكم العثماني وبخاصة في الشام والعراق وشمال الجزيرة العربية، وكان من بينهم القوميون العرب الذين رأى أن يرسل لهم ابنه فيصلًا ليتواصل معهم سرًّا حتى لا يفطن لهم والي الشام العثماني "أحمد جمال باشا"، فيقضي على الثورة قبل قيامها.
- قام فيصل بن الحسين بثلاثة اتصالات سرية مع القوميين العرب في بلاد الشام، تمت الأولى في ١١ / جمادى الأولى ١٣٣٣هـ / ٢٦ مارس ١٩١٥م، وتمكن فيه فيصل من الالتقاء بقادة القوميين العرب، واستطلاع رأيهم عن الثورة على الدولة العثمانية، وبخاصة أنهم كانوا قد أرسلوا للشريف الحسين بن علي، يحثونه على أن يكون خليفة على العرب لشرف نسبه بالرسول صلى الله عليه وسلم، ثم وعده لهم بأنه سيعود للقائهم مرة أخرى بعد عودته من مقابلة الصدر الأعظم في الأستانة.
- أما الاتصال الثاني فقد تم في:١٠ رجب ١٣٣٣هـ/٢٣ مايو١٩١٥م بعد

عودته من الآستانة، حيث التقى بالقوميين مرة أخرى وأخذ موافقتهم على الاستعانة ببريطانيا وفق الشروط التي أملوها عليه، ومن أهمها: أن يحكم العرب أنفسهم مع منح بريطانيا امتيازات اقتصادية خاصة بها داخل الدولة العربية بعد قيامها.

- أما الاتصال الثالث فقد تم في ربيع الأول ١٣٣٤هـ/ يناير ١٩١٦م، ونتج عنه اقتناع فيصل أن دمشق لا تصلح أن تكون مركزًا لإعلان الثورة، لأن واليها جمال باشا ربما يكون قد اكتشف أمرهم، فأخذ يتفنن في تأديبهم بالسجن، أو القتل، أو التهجير، كما عمل على تفريق الجيوش العربية في ميادين القتال بعيدًا عن بلاد الشام. وبالتالي أدرك الشريف فيصل بن الحسين أن الثورة يجب أن تنطلق من الحجاز نفسه، وهو ما تم فعلًا في اليوم التاسع من شعبان ١٣٣٤هـ / العاشر من يونيو ١٩١٦م.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الهوامش:

(١) أبو هيكل، عبدالعليم علي، دور القبائل الحجازية والشامية في الثورة العربية سنة ١٩١٦م، المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، القاهرة يناير ١٩٨٨م، ص ٢٧١. ؛ قدري، أحمد، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، مطابع بن زيدون، دمشق ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، ص٦.

(٢) لقد نتج عن سياسة التتريك التي نهجتها جمعية تركيا الفتاة تأسيس عدد من الجمعيات العربية والأحزاب السياسية للدفاع عن قضايا العرب وحقوقهم، وكان مؤسسوها من العرب المثقفين، ومن أهم هذه الجمعيات: جمعية الإخاء العربي العثماني، والمنتدى الأدبي، والجمعية القحطانية، والعلم الأخضر، والعهد. وهذه الجمعيات الخمس تأسست في استانبول. ومنها أيضًا: جمعية بيروت الإصلاحية، وجمعية البصرة الإصلاحية، والنادي الوطني العلمي في بغداد، والجمعية العربية الفتاة وتعرف بالفتاة، وحزب اللا مركزية الإدارية العثماني. انظر: زين، نور الدين زين، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، ط٤، دار النهار، بيروت ١٩٨٦م، ص.ص ٩٠-٩١. ؛ قدري، أحمد، مذكراتي، ص . ص ٧ - ١٨.

(٣) زين، نشوء القومية العربية، ص ٨١.

(٤) المرجع نفسه، ص ٨١.

(٥) أبو هيكل، دور القبائل، ص٢٧٢.

(٦) عبد الرحيم، جيهان بنت إبراهيم شار علي، الآثار السياسية والحضارية للانتداب الفرنسي والبريطاني على بلاد الشام ١٣٤٢ - ١٣٥٩هـ / ١٩٢٤- ١٩٣٩م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص٤.

(٧) زين، نشوء القومية العربية، ص ٩٠.

(٨) المرجع السابق، ص.ص ٩٢ - ٩٣.

(٩) أوجز نائب رئيس أول مؤتمر عربي عقد في الفترة ما بين ١٤ - ١٩ رجب ١٣٣١هـ / ١٨ - ٢٣ يونيو ١٩١٣م أهداف اللا مركزية السياسية وأغراضها البعيدة في البيان

الذي ألقاه في هذا المؤتمر بقوله: "توهم بعض أنصار النظام المركزي من إخواننا الأتراك أن الغرض من النهضة العربية الانفصال عن الدولة، وهو أمر بعيد عن الصحة، فإن الأمة العربية لا تريد إلا استبدال شكل الحكم الفاسد ... بالحكم الذي يرجى منه وحده الصلاح والنجاح لنا ولهم، وهو الحكم على قاعدة اللا مركزية، ولو كانت الهيئة الحاكمة اليوم من صميم قريش لكان موقفنا معها نفس موقفنا هذا ... أما إذا أبت الأمة التركية إلا الهلاك، فالعرب معذورون إذا هم ترددوا قبل أن يلقوا بأنفسهم معها في الهوة". انظر: زين، نور الدين، ص ١٠٠.

(١٠) أبو هيكل ، دور القبائل، ص ٢٧٢.

(١١) المرجع نفسه ، ص ٢٧٣.

(١٢) الفواز، كليب سعود، المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين ١٩٠٨ ـ ١٩١٨م، دائرة المكتبة الوطنية، الأردن ١٩٩٧م، ص . ص ١١٦ ـ ١١٧.

(١٣) أنطونيوس، جورج، يقظة العرب، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة ، ١٩٨٧م، ص ٢٤١.

(١٤) للتوسع في الاطلاع على خلاف الشريف الحسين بن علي مع حزب الاتحاد والترقي الحاكم في الدولة العثمانية. انظر: يوسف، عماد عبدالعزيز، الحجاز في العهد العثماني ١٨٧٦ ـ ١٩١٨م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص.ص ٨٦ـ ٨٩.

(١٥) كما أرسل الشريف الحسين بن علي ابنه الأكبر عليًا إلى المدينة المنورة ليجمع المقاتلين من القرى والعشائر ورجال الحجاز، وكلف ابنه (الثاني) عبد الله ـ الذي كان مستشاره السياسي ـ ليستطلع رأي البريطانيين، وليعلم كيف سيكون موقفهم تجاه قيام ثورة محتملة ضد الدولة العثمانية .انظر: توماس إدوارد لورانس: أعمدة الحكمة السبعة، ترجمة محمد نجار، ط١،دار الأهلية للنشر والتوزيع ، لبنان ، ١٩٩٨م ، ص ٤٤.

(١٦) أنطونيوس: اليقظة، ص ٢٤١. ؛ قلعجي: قدري: الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٥م ، ط٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ،١٩٩٤م، ص. ص ١٤٧- ١٤٨.

(١٧) أحمد جمال باشا (١٨٧٢ ـ ١٩٢٢م) وزير الحربية في عهد الاتحاديين، تخرج من المدرسة الحربية، وانتمى إلى حزب الاتحاد والترقي، وقام بدور فعال في تهيئة الانقلاب على السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨م، فأصبح من أكثر رجال الحرب نفوذًا. عين واليًا عسكريًّا في آطنه سنة ١٩٠٩م، وبغداد سنة ١٩١١م، ثم استانبول، ثم عين وزيرًا للبحرية، ولما قامت الحرب العالمية الأولى عين قائدًا للجيش الرابع ووالِيًا عسكريًّا في سورية، وهناك نكل بأحرار العرب، وأعدم عددًا كبيرًا منهم، ولقب بالسفاح. ولما انتهت الحرب العالمية بخسارة ألمانيا والدولة العثمانية هرب على باخرة ألمانية مع طلعت باشا وأنور باشا، وفي سنة ١٩٢٢ قتله شخص أرمني في تفليس. انظر: صفوة، نجدة فتحي، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)، مج ١، ط١، دار الساقي، بيروت ١٩٩٦م، ص ٩٩.

(١٨) موسى: سليمان، الحركة العربية ١٩٠٨- ١٩٢٤م ، ط٣، دار النهار للنشر، بيروت ٢٠٠٠م، ص١٠٠.

(١٩) الموسى: الحركة العربية، ص ١٢٩؛ أنطونيوس: اليقظة، ص . ص ٢٣٦-٢٣٧.

(٢٠) أنطونيوس: اليقظة، ص ٢٣٧.

(٢١) قلعجي: الثورة، ص ١٤٩.

(٢٢) قلعجي: الثورة ،ص ١٤٩.

(٢٣) أبو دله: سالم هاشم عباس: موقف الملك فيصل الأول من الثورة العربية والقضية الفلسطينية ١٩٠٨- ١٩٣٣م ، مجلة أهل البيت عليهم السلام، العراق، العدد الخامس عشر، ص ٢٢٣.

(٢٤) قلعجي: الثورة ،ص ١٤٩؛ أنطونيوس: اليقظة، ص ٢٤٢.

(٢٥) لم يكن جمال باشا أحد أعضاء "تركيا الفتاة" الذين يمثلون جمعية الاتحاد والترقي ويحملون طابعها، بل كان بطلًا معروفًا من أبطال الدعوة الإسلامية فكان يخالف الداعين إلى الوحدة الطورانية، ويجاهر عن إخلاص بإيمانه بمزايا القومية العثمانية

المبنية على التضامن الإسلامي وبمستقبلها، وكان لوصوله إلى دمشق وقع حسن في النفوس فقد كان عاقد العزم على كسب السكان العرب لموالاة الدولة العثمانية ومؤازرتها وعلى استمالة المسلمين إلى المشاركة في الجهاد، وظل يحكم بلاد الشام ثلاث سنوات حكمًا يكاد يكون مطلقًا. وفي تلك الأثناء أعلنت الحكومة البريطانية انتهاء سيادة الدولة العثمانية الاسمية على مصر وأنها تحت حمايتها المباشرة. ثم خاض ضد الإنجليز معركة قناة السويس التي هزم فيها، فلما عاد إلى دمشق تغيرت معاملته للزعماء العرب الذين اتهمهم بالخيانة ـ ربما لتبرير هزيمته في القناة ـ. انظر: جورج، اليقظة، ص ٢٣٥. ؛ الموسى، الحركة العربية، ص ١٠١.

(٢٦) هناك من قال بإن هؤلاء الزعماء كانوا فعلًا خونة، وكانوا على اتصال بأعداء الدولة العثمانية من أجل القضاء عليها، وأن غالبيتهم من نصارى لبنان، وأن جمال باشا اكتشف بعض الوثائق التي تدين بعض العرب الذين اتصلوا بالسلطات الفرنسية وطلبوا منها التدخل لإخراج الدولة العثمانية من المنطقة. انظر: عبد الرحيم، الآثار السياسية والحضارية، ص ٦.

(٢٧) الموسى: الحركة العربية، ص١١٦.

(٢٨) الموسى: الحركة العربية، ص١١٦.

(٢٩) باشا، أحمد جمال، مذكرات جمال باشا، ترجمة: علي أحمد شكري، تحقيق: عبد المجيد محمود، مطبعة البصري، بغداد ١٩٦٣م، ص ٢٣٤.

(٣٠) أنطونيوس: اليقظة، ص ٢٤٣؛ قلعجي: الثورة ،ص ١٤٩.

(٣١) أنطونيوس: اليقظة، ص ٢٤٤. ؛ وهيم: طالب محمد: مملكة الحجاز مملكة الحجاز (١٩١٦– ١٩٢٥) دراسة في الأوضاع السياسية، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ط١٤٠٢،١هـ .١٩٨٢م، ص ٣٣.

(٣٢) الموسى: الحركة العربية، ص١٢٨.

(٣٣) جمال باشا: مذكرات جمال باشا، ترجمة علي أحمد شكري، تحقيق عبد المجيد محمود. مطبعة البصري. بغداد، ١٩٦٣م، ص ٢٣٤. ؛ سعيد: أمين: الثورة العربية الكبرى، مج ١، مكتبة مدبولي، مصر، د.ط، د.ت، ص ١١١.

(٣٤) أنطونيوس: اليقظة، ص ٢٤٤ ؛ جمال: ص ٢٣٤.

(٣٥) مكماهون، السر آرثر هنري (Sir Arthur Henry Macmahon)المندوب السامي البريطاني في مصر، وصاحب المراسلات الشهيرة مع الشريف الحسين بن علي أمير مكة. درس في كلية هليبري وكلية ساندهرست العسكرية، وتخرج ضابطًا في الجيش سنة ١٨٨٣م، ثم انتقل إلى الدائرة السياسية لحكومة الهند، وتنقل في المناصب الإدارية حتى تقلد منصب سكرتير الشؤون الخارجية لحكومة الهند البريطانية (١٩١١ ـ ١٩١٤م). وعين في أواخر سنة ١٩١٤م أول مندوب سامي لمصر بعد إعلان الحماية . انظر: صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، مج١، ص ١١٧.

(٣٦) الحسين: عبدالله: مذكراتي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٠٩،١هـ / ١٤٨٩م، ص٤١-٤٢؛ أنطونيوس. المصدر السابق، ص٥٧١ ؛ وهيم، مملكة الحجاز، ص٣٣.

(٣٧) الحسين: مذكراتي،ص. ص٤١-٤٢. ؛ أنطونيوس، اليقظة، ص٥٧١ . ؛ وهيم: مملكة الحجاز، ص٣٣.

(٣٨) نصيف، حسين بن محمد، ماضي الحجاز وحاضره، ج١، ط١، مكتبة ومطبعة خضير، مصر ١٣٤٩هـ، ص ٤٢.

(٣٩) نصيف، ماضي الحجاز، ص ٤٢.

(٤٠) الحسين، مذكراتي، ص١١١ قلعجي، الثورة، ص . ص ١٧٨- ١٨١.

(٤١) قلعجي، الثورة، ص١٨٢.

(٤٢) قلعجي، الثورة، ص . ص ١٨٢- ١٨٣.

(٤٣) أنطونيوس، اليقظة، ص٢٧٨-٢٨٤.

(٤٤) المرجع نفسه، ص٢٧٩.

(٤٥) نفسه، ص . ص٢٨١-٢٨٢.

(٤٦) نفسه، ص ٥٧١.

(٤٧) قلعجي: الثورة، ص ١٨٣.

(٤٨) قلعجي، الثورة، ص ١٨٣؛كورية: يعقوب يوسف: إنكليز في حياة فيصل الأول، ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٨م،ص١٠.

(٤٩) وضح الشريف الحسين بن علي أسباب ثورته على الدولة العثمانية بمنشور وجهه إلى كافة المسلمين ومما جاء فيه: "{ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين}الأعراف، آية ٨٩، كل يعلم بأن أول من اعترف بالدولة العلية من حكام المسلمين وأمرائهم أمراء مكة المكرمة رغبة في جمع كلمة المسلمين ... إلى أن نشأت في الدولة جمعية الاتحاد وتوصلت إلى قبض إدارتها وكافة شؤونها بما كانت نتيجته انتقاصها من الممالك ما قوض عظمتها ... وإيقافهم إياها اليوم في موقف الهلكة التي لا تحتاج لبيان ... وتمزيق ما بقي من سكان ممالكها بلا تفرقة بين مسلمهم وذميهم فريق منهم بالصلب وأنواع الإعدام والآخر بإجلائه عن وطنه على الصورة المعهودة والحالة المشهودة علاوة على ما أصيبوا به في أموالهم وأنفسهم من آفات الحرب ولا سيما هذه الحرب الأخيرة التي كان للأرض المقدسة النصيب الأعظم ... هذا ما قد قمنا به لأداء الواجب الديني علينا راجين من إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يؤيدوا ... وهو حسبنا ونعم النصير ". انظر: نصيف، ماضي الحجاز، ص . ص ٤٣ ـ ٤٨.

(٥٠) عبدالله: مذكراتي، ص ١١٣.

المصادر والمراجع

- أنطونيوس، جورج، يقظة العرب، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة ، ١٩٨٧م، ص ٢٤١.
- باشا، أحمد جمال، مذكرات جمال باشا، ترجمة: علي أحمد شكري، تحقيق: عبدالمجيد محمود، مطبعة البصري، بغداد ١٩٦٣م.
- جمال باشا، مذكرات جمال باشا، ترجمة علي أحمد شكري، تحقيق عبد المجيد محمود. مطبعة البصري. بغداد، ١٩٦٣م.
- الحسين، عبد الله: مذكراتي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٠٩،١هـ / ١٤٨٩م.
- أبو دله، سالم هاشم عباس، موقف الملك فيصل الأول من الثورة العربية والقضية الفلسطينية ١٩٠٨– ١٩٣٣م ، مجلة أهل البيت عليهم السلام، العدد الخامس عشر، العراق.
- زين، نور الدين زين، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، ط٤، دار النهار، بيروت ١٩٨٦م.
- سعيد، أمين، الثورة العربية الكبرى، مج ١، مكتبة مدبولي، القاهرة بدون تاريخ.
- صفوة، نجدة فتحي، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)، مج ١، ط١، دار الساقي، بيروت ١٩٩٦م.
- عبد الرحيم، جيهان بنت إبراهيم شار علي، الآثار السياسية والحضارية للانتداب الفرنسي والبريطاني على بلاد الشام ١٣٤٢ ــ ١٣٥٩هـ / ١٩٢٤ـ ١٩٣٩م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

- الفواز، كليب سعود، المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين ١٩٠٨ ـ ١٩١٨م، دائرة المكتبة الوطنية، الأردن ١٩٩٧م.
- قدري، أحمد، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، مطابع بن زيدون، دمشق ١٣٧٥هـ /١٩٥٦م.
- قلعجي، قدري: الثورة العربية الكبرى ١٩١٦– ١٩٢٥م، ط٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ١٩٩٤م.
- كورية، يعقوب يوسف: إنكليز في حياة فيصل الأول، ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٨م.
- لورانس، توماس إدوارد، أعمدة الحكمة السبعة، ترجمة محمد نجار، ط١،دار الأهلية للنشر والتوزيع ، لبنان ، ١٩٩٨م.
- نصيف، حسين بن محمد، ماضي الحجاز وحاضره، ج١، ط١، مكتبة ومطبعة خضير، مصر ١٣٤٩هـ.
- أبو هيكل، عبدالعليم علي، دور القبائل الحجازية والشامية في الثورة العربية سنة ١٩١٦م، المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، القاهرة يناير ١٩٨٨م.
- وهيم، طالب محمد: مملكة الحجاز مملكة الحجاز (١٩١٦– ١٩٢٥) دراسة في الأوضاع السياسية، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ط١،١٤٠٢هـ .١٩٨٢م.
- يوسف، عماد عبدالعزيز، الحجاز في العهد العثماني ١٨٧٦ ـ ١٩١٨م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.